

(١٠٨) سورة الكوثر

فى رحاب السورة الكريمة

سورة مكية آياتها ثلاث نزلت بعد سورة العاديات تحدث عن فضل الله العظيم على نبيه الكريم بإعطائه الخير الكثير والنفع العظيم فى الدنيا والآخرة ومنها الكوثر وغير ذلك الخير العظيم ودعت السورة الكريمة الرسول إلى إدامة الصلاة ونحر الهدى شكرا لله تعالى وختمت السورة ببشارة الرسول ﷺ بخزى أعدائه ووصفت مبغضيه بالذلة والحقارة فى الدنيا والآخرة بينما ذكر الرسول مرفوع على المنابر إلى يوم الدين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝ ﴾

معانى المفردات:

أعطيناك الكوثر: نهرا فى الجنة أو الخير الكثير.

انحر: المراد انحر البدن نسكا شكرا لله تعالى.

شائنك: مبغضك.

الأبتر: المقطوع الأثر.

التفسير:

﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ الخطاب للرسول ﷺ تكريما لمقامه الرفيع وتشريفا أى نحن أعطيناك يا محمد الخير الكثير الدائم فى الدنيا والآخرة ومن هذا الخير "نهر الكوثر" وهو كما ثبت فى الصحيح "نهر فى الجنة حافتاه من ذهب وبحراه على الدر والياقوت تربته أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل، وأبيض من الثلج من شرب منه شربة لم

يظماً بعدها أبداً^(١) عن أنس قال "بينما رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا، إذا أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه مبتسماً فقلنا ما أضحكك يا رسول الله؟ قال أنزلت على أنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ السورة ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ قلنا الله ورسوله أعلم قال: فإنه نهر وعدنيه ربى عز وجل فيه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة، أنيته عد النجوم فيختلج العبد... أى ينتزع ويقطع منهم فأقول: إنه من أمتى.. فيقال إنك لا تدري ما أحدث بعدك^(٢) قال أبو حيان: وذكر فى الكوثر ستة وعشرين قولاً والصحيح هو ما فسره به رسول الله ﷺ فقال "هو نهر فى الجنة حافاه من ذهب، ومجره على الدر والياقوت، تربته أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل وعن ابن عباس الكوثر: الخير الكثير^(٣) ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ أى فصل لربك الذى أفاض عليك من الخير خالصاً لوجهه الكريم وانحر الإبل التى هى خيار أموال العرب شكراً لله على ما أولاك ربك من الخيرات والكرامات. كان المشركون يصلون مكاء وتصدية، وينحرون للأصنام فقال الله تعالى لنبىه صل لربك وحده، وانحر لوجهه الكريم لا لغيره ﴿ إِنِّ شَأْنُكَ هُوَ الْآبِتُّ ﴾ أى إن مبغضك يا محمد هو المنقطع عن كل خير، قال المفسرون: لما مات القاسم ابن النبى ﷺ قال العاصى بن وائل "دعوه فإنه رجل أبتر لا عقب له.. أى لا نسل له.. فإذا هلك انقطع ذكره فأنزل الله تعالى هذه السورة، وأخبر تعالى أن هذا الكافر هو الأبتر وإن كان له أولاد لأنه مبتور من رحمة الله ولأنه لا يذكر إلا ذكر باللعنة.. أما الرسول ﷺ فإن ذكره خالد إلى يوم القيامة مرفوع على المآذن والمنابر مقرون بذكر الله تعالى.

الإعراب:

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ	إنا إن والضمير فى محل نصب اسمها، أعطيناك فعل ماض ونا الفاعلين فى محل رفع فاعل والكاف ضمير خطاب فى محل نصب مفعول به أول والكوثر مفعول به ثان.
----------------------------------	--

(١) رواه الترمذى.

(٢) أخرجه مسلم والترمذى.

(٣) البحر ٥١٩/٨ وما ذهب إليه ابن عباس من إنه الخير جامع لأقوال المفسرين فقد أعطى الرسول ﷺ فضائل كثيرة منها النبوة، والكتاب، والحكمة، والعلم، والشفاعة والخوض المورود والمقام المحمود وكثرة الأتباع والنصر على الأعداء وكثرة الفتوحات وغير ذلك.

فَصَلَ لِرَبِّكَ وَآخَرُ	الفاء عاطفة ، صل فعل أمر مبني علامة بنائه حذف حرف العلة ، والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت يعود على الرسول ﷺ لربك جار ومجرور متعلقان بصل واخر الواو عاطفة ، اخر فعل أمر مبني وفاعله مستتر تقديره أنت والجملة معطوفة على "صل".
إِنِّ شَانِقَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ	إن حرف توكيد ونصب ، شانتك اسم إن منصوب والضمير في محل جر بالإضافة وهو ضمير فصل في محل رفع مبتدأ ، الأبتَر خبر مرفوع وجملة المبتدأ والخبر في محل رفع خبر إن جملة اسمية.

من ألوان البلاغة

لقد تضمنت السورة الكريمة بعض الصور البلاغية نذكر منها :

• صيغة الجمع الدالة على التعظيم في قوله تعالى ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ ولم يقل سبحانه إني أعطيتك.

• بدء الآية بحرف التأكيد الجارى مجرى القسم "إنا" لأن أصلها إن واسمها.

• صيغة الماضى المقيدة فى قوله تعالى "أعطيناك" ولم يقل سنعطيك لأن الوعد لما كان محققا عبّر عنه بالماضى مبالغة أنه حدث ووقع.

• المبالغة فى لفظة الكوثر.

• الإضافة للتكريم والتشريف "فصل لربك".

• أسلوب القصر فى قوله تعالى ﴿ إِنِّ شَانِقَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾.

• المقابلة بين "الكوثر والأبتَر" فالكوثر هو الخير الكثير والأبتَر هو المنقطع عن كل خير.

وهذه السورة على وجازتها جمعت من البلاغة والبيان فسبحان الله العظيم منزل القرآن الكريم.

